

كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكُهُ، وَمُفَاجِئُهُ فَمُهْلِكُهُ. رَكِبَ الْأَوْلِيَاءُ أَكْتَانَهُمْ، وَتَحْيِفُوا أَوْسَاطَهُمْ وَأَطْرَافَهُمْ، وَغَنِمُوا أَثَانَهُمْ وَأَسْبَابَهُمْ، وَظَهَرُوا رَهْمَ وَدَوَابَهُمْ. مَا هُوَ إِلَّا دَرِيئَةُ الْهَرَبِ، وَفَرِيئَةُ الْطَلْبِ. أُنِيَ لَهُ الْمَقَامُ وَرِمَاحُ الْطَلْبِ نَحْوَهُ مُسْرَعَةً، وَخُيُولُهُ إِلَيْهِ مُسْرَعَةً.

ذكر الغنائم

غَنِمُوا أَمْوَالَهُمُ الَّتِي لَمْ يُودُوا فِيهَا حَقًّا مَعْلُومًا، وَلَمْ يَغْنُوا بِهَا سَائِلًا مَحْرُومًا. غَنِمُوا أَمْوَالَهُمُ الَّتِي آحْتَجْنُوهَا فَآخْتَزْنُوهَا. اسْتَوْلَى الْأَوْلِيَاءُ وَغَنِمُوا، وَكَلَّمُوا وَمَا كَلِمُوا. غَنِمُوا ذَلِكَ الْحُطَامَ، الْمَجْمُوعَ مِنَ الْحَرَامِ، الْمَثْمُرَ مِنَ الْأَثَامِ، الْمَقْتَطَعَ مِنْ فَيْءِ الْإِسْلَامِ. غَنِمُوا أَمْوَالًا إِنْ ذُكِرَ قَدْرُهَا، اسْتَشْرَفَ أَمْرُهَا، وَكَيْفَ بِذَلِكَ وَالذَّهَبَ حَتَّى الْآنَ يُكَالُ بَيْنَ الْأَوْلِيَاءِ كَيْلًا، وَيُهَالُ بَيْنَ الْغَانِمِينَ هَيْلًا. غَنِمَ الْأَوْلِيَاءُ مَا بَقِيَ لَهُمُ الْحَوَادِثُ، وَأَسَارَتِ عِنْدَهُمُ الْنَوَائِبُ مِنَ أُمَّهَاتِ الذُّخَائِرِ وَالْعُقَدِ الْفَنَائِسِ. قَدْ صَارَتْ أَمْوَالُ الْأَعْدَاءِ غَنَائِمَ لَهُمْ لَا تُحْصَى كَثْرَةً، وَعَادَتْ عَلَى الْفَاسِقِينَ مَظَالِمَ وَحُسْرَةً.

ذكر موت العدو

أَفْضَى بِهِ سُوءُ الْعَاقِبَةِ إِلَى الْعَذَابِ الْأَلِيمِ، وَالْمَالِ الْأَذِيمِ، وَسُكْنَى الْجَحِيمِ، وَسُقِيَ الْحَمِيمِ. فَضَى نَحْبَهُ، وَلَقِيَ بِأَسْوَدِ صَحِيفَةِ رَبِّهِ. جِرَاحَةٌ أَتَتْ عَلَى نَفْسِهِ، وَوَسَدَتْهُ فِي رَمْسِهِ. آلَ أَمْرُهُ إِلَى وَبَالٍ، وَأَنْحَلَالَ وَاضْمِحْلَالَ، قُبُضَ إِلَى أَخْرَاهِ عَلَى الْفَنَاقِ، كَمَا عَاشَ فِي دُنْيَاهِ عَلَى الشَّقَاقِ. مَضَى لِسَبِيلِهِ يَقْدُمُهُ الْخِزْيُ، وَيَتْبَعُهُ اللَّعْنُ، وَلَا تَبْكِي عَلَيْهِ السَّمَاءُ وَلَا الْأَرْضُ. قُبِضَتْ نَفْسُهُ الْخَبِيثَةُ عَلَى ضَلَالٍ وَخَبَالٍ، وَسُوءِ حَالٍ وَمَالٍ. تَقَطَّعَتْ وَسَائِلُ بَقَائِهِ، وَأَتَصَّلَتْ حَبَائِلُ فَنَائِهِ.